

بكائية للنغم النافر

د. شعبان صلاح

بكائية
للنعم النافر
شعر

الطبعة الأولى

٢٠٠٩م

دار حروف للنشر والتوزيع

إيضاح أول .. :

أيها القارئ الكريم

هذه أزاهيري، أو ما توسمئها أزاهير؛ قد تشم بعضها فتسعدك، وقد ترى بعضها خلواً من نوع العطر الذي تحب، فتمر عليها مرور الكرام، وسوف أهنأ لا شك بسعادتك، لكني لن أغضب لما لم يعجبك؛ لأنني أؤمن بحقك في الاختيار كما آمنتُ بحقي في التعبير عما أحس .

صدرت هذه القصائد من قبل في ديوانين؛ يحمل أولهما

- الذي صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٨١ م ، وطبعته الرابعة في عام ١٩٩٨ م - عنوان (قراءة في عيني حبيبتي) ، ويحمل الثاني - الذي صدرت طبعته الوحيدة في عام ١٩٩٨ م - عنوان (عاشق الوهم) .

وحين أجلتُ النظر فيهما بعد مرور هذه السنوات رأيت أن فيهما ما يمكن التخلي عنه، وهي ست قصائد في الديوان الأول، ونحو نصف الديوان الثاني .

وحين فكرت في اختيار عنوان يشملهما رأيت (بكائية للنغم النافر) أولى القصائد بأن تكون عنواناً للمجموعة كلها؛ لأنها تعبر عن وجدي الذي لا ينقطع بالكلمة المنغومة، وتجسد

أساي غير المحدود لذلك النفور القائم بين الشعر وبينني منذ فترة ليست بالقصيرة.

فليكن عملي الشعري الوحيد الذي أرجو أن ينال رضاك هو (بكائية للنغم النافر)، وكل ما أطمح إليه أن ترى فيه صورتي بكل ظلالها وألوانها؛ المبهج منها والقاتم، والمسعد منها والمخزن، وأن أكون - بعد تذوقك إياه - قريبا إلى نفسك، موصولا بأحاسيسك، وهذه جائزتي التي أسعى إلى الفوز بها .

شعبان صاح

١٠ يونيو ٢٠٠٨م

لحن الوفاء

"إلى صديقة الشدة التي ظلت على عهدا على الرغم من تقلب

الأصدقاء ٠٠ إلى عكازتي ٠٠ !! "

آثرت أن تبقي بظل حناني

ورفضت في وشاية الإخوان

وحلفت بالأقدار أن لن تركي

وُدّي، ولن تدعي الحياة عاني

وخطت من شجن السنين بمهجتي

ذكرى مئى عزت على النسيان

وحفرت في عمق الفؤاد مسارباً

تاهت بها مضطرةً أحزاني

وجعلتني أنسى غداة تمزقت

يُمناي بين دقائق وثوان

وعرفتُ فيك صديقةً لا تنثني
ورفيقةً أعيثُ قُوى الحدثان
كم من لعبٍ^(١) قد أتت ودلالها
يغري بها لُبي ونبض جناني
كادت تزحك عن حماي بحسنها
وتمدُّ في أفقي ضياء أمان
أسرتُ نُهاي بقدها فسبحتُ في
دنيا من السحر الشفيف الحاني
وظننتُ أن سَاعودُ في أحضانها
طفلا أعيش نقاء عُمرِ ثانٍ
لكنَّ سهمك غالها فترنَّحتُ
وهوَّتُ تحوُّلُ^(٢) حولها العينان

(١) أعني بها : الساق الصناعية •

(٢) تحوُّل : تقول "لا حول ولا قوة إلا بالله" •

فاقتك قداً وانفردت بخفة

فأذبتّها في جفّك الوسنان

ومحوّت ذكرى عشقها من خاطري

وبقيت أنت مليكة الإيوان

تُبدّين ما ملكت يمينك من هوى

وأنا أصونك في عميق كياني

فتدّلي ما شئت فاتنة السنى

وتمايلي بي في رُبا الإيمان

وثقي فقد أيقنت يا "عكازتي"

أني رضيْتُ بمنحة الرحمن

إلى غادرة

أنا لستُ أعتب أن حنثت بموعدي

وصبغت بالأشجان أحلام الغد

أو لست من حواء صغت ، فلم تزل

بك مضغة ضلت ، ولما تهتد

لابذع أن حطمت آمال اللقاء

وكسوت نشوتنا بثوب أسود

وكسرت كأس الشوق وهي مليئة

وتركت طفل الحب مشلول اليد

* * *

أنت التي شيدت من حبي لها

حرما ، فخاننتني ، ولم تتعبد

أنت التي نسيَتْ تراتيل المني

علوية الأصداء ، من حَلَقِ ندي

كفرتَ بدين الشوق ، وهي - بلا هوى -

هملاً ، وحرماناً ، ومخضُ تبلُد

* * *

قد كنتِ في روضي شَجيرة زنبق

أشربتها اللحن الذي لم يُنشد

وكسوتُ دنياها هناءً نابعا

من فيض قلبٍ مخلص متودد

وأضأتُ روعي شعلةً في أفقها

لتعيش في أحضان حبٍّ سرمدي

لكن رغبتي عن العلا وسكنتِ في

ذل الإسار ورقّ ماضٍ أنكد

ما زال في مجرى دمائك طينهُ

تهوي بروحك للحضيض الأوهـد

فابقي بأرضك ، إنما أنا طائر

يهوى النجوم ، وبالكواكب يقتدي

والأرض لا تسمو فتحلم أن ثرى

هي والسماء شريكتين بمقعد

المتوّجة بالشمس ٠٠ !

حدّثيني : كيف صُغِتِ الشمسَ تاجاً تلبسِينه ؟

واشرح لي : كيف أعطاكِ الهوى ما تشتهيئه ؟

كيف صبَّ السحرُ في عينيك مزهواً فتونه ؟

يا نشيدَ العالم العلويّ في ليل التصافي :

أخبريني : كيف ينسى فيك ربُّ الدين دينه ؟ !!

* * *

كل ما فيك جميلٌ ، يبهر الرائي ضياه

كل ما تحوين سرّاً مبهمٌ يُصبي الهداة

آه من عينين قلبي فيهما استرخى وتاه

فتنة الأقدار ذابت فوق خديكِ تغني

وأنا أسقيك نبضاً يستقي منك الحياة

* * *

عانقيني خاطرا يغفو على صدر الأمانى

واشربيني خمره هامت بآفاق الحنان

واسمعيني شاديا أسكرت في فيه الأغاني

يا رسول الحسن في الدنيا وعيناك الكتاب

أمتعي قلبي ، وعيشي لحن شوق في كياني

أحبك

وجئت إليّ باسمه سعيدة

وفي شفئك زنبقة فريدة

وفوق جبينك التمعت لآلي

تحدّث عن منى سكرى شريفة

تصافحنا فصرنا طيف روح

يخلق بين آفاق عديدة

وذاب كلا فؤادينا ، وصرنا

نطل على رؤى نشوى جديدة

وتنبّت في حواشينا ورود

وتخضر ابتسامات وليدة

كأن الدهر أسكره لقانا

فزفّ إلى رُبا الأشواق غيده

ورشّ لنا المماشي بالأغاني

ورشرش فوق رأسينا سعوده

وأرسل طيره يختال بـشراً

ويسكب في مسامعنا نشيده

ويغبطنا على النجوى إذا ما

تسامى الوجد يسقينا خلوده

* * *

أحبك أنت مُرسلةً لقلبي

لتخلق من رحيق الحب عيده

فيخطر في رياض هواك صباً

ويشهد فيك سلوته الوحيدة

أحبُّكِ نسمةً في الصدر تسري

وأغنيةً بأعماقي البعيدة

أحبك خاطراً في قدس فكري

وآيةً قدرةٍ كسرت قيوده

أحبُّكِ سورةً للحب تُثلى

ونشوةً عابدٍ يقرأ وروده

أحبكِ ليس بعد هواك حبّ

يُعطر خاطري ويزين جيده

فدوبي في حنايا القلب لحناً

وعيشي في الضلوع شذى قصيدة

خداع السراب

أتيتُك أحمل بين الجوانـ

ح عطر الهوى وزهور الحنين

وقلبا يرفرف بين الضلوع

يفتّش عنك ببحر السنين

وروحًا يغني لوجه الجمال

وفي صوته شعشات الأنين

أتيتك من عالمي الشاعرِ

أحلق فوق شذى الأمنيات

فلم ألق فيك سوى رسم أنثى

ثميت بقلبي منى العاشقين

* * *

حسبتك يوم التقى ناظرانا

نبيّ الهوى أرسلته السماء

وصدقت عينيّ فانساب عودي

يُرْتَلُ للشوق لحنَ الوفاء

وبتّ غريقًا ببحر الخيال

أَصَوِّرُ كيف يكون اللقاء

وجئتك فوق جياذ التعطُّ

شِ أبحث فيك عن الذكرياتِ

فإذ بي أمام خداع السراب

فضلّت جيادي وخاب الرجاء

* * *

أريد هوى يشعل القلب وجدا

فأشعر فيه ببرد الأمان

وشوقا يعربد بين الحنايا

فأشرب منه سُلاف الحنان

أريد فؤادًا عميقَ الشعورِ

وحبًّا يزلزل مِثِّي الكيان

أريد حبيبًا أرى فيه نفسي

وأنشئُ منه عبير الحياةِ

وأنتِ - وعهدك بي لا أرائي -

صدي امرأةٍ في زوايا الزمان

حينما يعرِّد الشوق ٠٠ !

أذيبيني على شفّتكِ سَكْرَةَ قَبْلَةِ نَشْوَى

وذوبي أنت في رُوحِي

وَضَمِينِي إِلَى نَهْدَيْكَ طِفْلاً مَا لَهُ أَهْلٌ وَلَا دَارُ

يَتَوَقُّ لِرَاحَةِ الْأَحْضَانِ ، لِلْهَمَسَاتِ ، لِلنَّجْوَى

أذيبيني ، ففي شفّتكِ تشكو نَارَهَا النَّارُ

* * *

أذيبيني رُؤْيَى سَكْرَى تَرَى عَيْنَيْكَ مُحْرَاباً

وَمُدِّي لِي وَثِيرَ الْهَدْبِ كِي أَبْقَى أُرْتُلَّ لِلْمَنَى ، لِلْحُبِّ ،

أُورَادِي وَأَدْعِيَّتِي

وَأَبْقَى فِي حِمَى الْأَنَاءِ طَوْلَ الدَّهْرِ أَوَاباً

وَلَا تَطْوِيهِ ، لَا تَطْوِيهِ ، إِنْ سَنَّاكَ أَمْنِيَّتِي

* * *

أذيبيني

وَعُطْنِي بِأَقْبِيَةِ مِنَ الْبَسَمَاتِ تُدْفِنُنِي ، وَتُضْنِنِي

وَلَا تَتَمَنِّي يَوْماً

ولا يُرْعَبُكَ تلويني

وإِذَا نَارَ فِي لَيْلِ الضَّرَاعَةِ شَوْقُكَ الْعَرِيدُ فَانْطَلِقِي

إِلَى نَبْعِ الْهَوَى الظَّمآنِ لِلشَّفَتَيْنِ ، لِلأَلْقِ

وَلَا تَخْشَى وَشَاةَ النَّاسِ إِنْ الْحَبُّ لَا يَخْفَى . . .

كَمَا الْأَعْطَارِ ، فَارْتَشَفِي مِنَ النِّفَحَاتِ ، وَاسْقِينِي

وَتُورِي فِي كَالِإِعْصَارِ ، كَالنِّيرَانِ تَلْذَعْنِي

وَتُحْرِقْنِي ، وَتُفْنِنِي

وَأَبْقِينِي عَلَى كَفِّكَ ذَكَرَى عَاشِقٍ مُضْنَى

وَحِينَ يَشْبُ فِيكَ الشَّوْقُ لِلْقَبْلَاتِ أَحْيِينِي

* * *

أَمِيتِينِي ، وَأَحْيِينِي

كَمَا تَهْوَيْنِ يَا فَجْرًا مِنَ الْأَنْدَاءِ ، يَا صُبْحًا مِنَ الْعَطْرِ

وَلَا تَتَسَاءَلِي عَنْ لَحْنِي الْمَنْسُوجِ مِنْ نَبْضِي :

لِمَنْ أَهْدِيهِ ؟ مَنْ يَعْطِي بَيَانِي طَاقَةَ السَّحَرِ ؟

فَفِي عَيْنِكَ أَكْتُبُهُ ، وَمِنْ عَيْنِكَ يَا تِينِي !!

* * *

أيا مَنْ تسعد الأشعارُ حين تراك مبتسمة

وترقص لي تعابيري

ويا من تهمس الكلمات في شفتيك كالنسمة

فتضحك في أساري

وتهزج في بساتيني

لحسنك أنت أشعاري

وأنت مناخ أفكاري

وأنت الفجر ، أنت العطر ، أنت قساوتي ، ليني

وأنت النار ، أنت النور ، أنت ربيع أزھاري

وأنت العود ، أنت اللحن يُسَكِّرُنِي ويُصِيبُنِي

وعينك أنت كلُّ الكون ، عينك وحدها داري

وحُبُّكَ أنت يُسعدني

وحُبُّكَ أنت يُشقيني

فلا تتباعدي عني ، فوجهك معبدي القدسي

وإن هو غاب عن أفقي

فلن أبقى بلا دين

أبيات ملتهبة

سؤالٌ تحيّر فوق الشفاهِ

زماناً طويلاً ولا أنطقه

وحبّ تردّد بين الجوانـ

ح يلهب قلب الهوى يحرقه

فجئتُكِ أبعث فيكِ شذاً

وسحراً جميع الدُنا عشقه

وأنتِ تصدين كل الصدود

فيغرب في خاطري مشرقه

أنا ما نسيْتُ بحبي الإباء

وإن عاش في خافقي يرهقه

فإِمْأَ عَصَانِي فَوَادِي فِيكَ

فإِنِّي بِأَعْتَى الْقُوَى أَسْحَقُهُ

لمسة حنان

"إليها في عيد من أعياد قلبها"

كلحنِ حالمِ النبراتِ ، في الأعماقِ منسابِ
مخمرِ الشوقِ تسكر منه كاساتي وأعنابي
كطيفكِ سابحاً في الوجدِ خلفِ حُؤِّ أهدابي
كرعشةِ قلبيّ النشوانِ يحكي راقصاً ما بي
كوجهكِ أنتِ حينِ يضيءُ قنديلُ المنى الخابي
كنفحِ شذاكِ حينِ سرى فَبَلَّ العطرُ أثوابي
كإحساسي برّوحِ الله حينِ أراكِ في بابي
أزفُ إليك تهنئةً نسيجُ حروفها نبضي
وأبعثُ بالجوى اللهفانِ في طيّاتِ إعجابي

مرثية للشوق الراحل

لا تقولي : كيف مات ؟

كيف صار الشوق ذكرى في ثوانٍ داميات ؟

وتلاشى وسط نيران الدموع ؟

لا تقولي : كيف مات ؟

أنتِ ما أعطيته خبزا وماء كي يقاوم

أنتِ ما أشربته غير انتكاس الجرح والمعنى المدمى

بعد إطفاء الشموع

* * *

كان طفلا يوم قابلناه في سن الرضاع

باسم الوجه ، نبيل ، ساحر ، دون قناع

لم يكن يحتاج منا غير نظرات الحنان

ومعاني الدفء في أغنية سكرى طليقة

غير أنا قد تركناه لويلات الزمان

ووقفنا في زوايا بؤسنا ننعى شروقه

* * *

ليس للموتى مردّ

كل ما نملك ضاع !!

فاندبي ما شئت قد

مزق اليأس الشراع !!

إلى مغامرة

أنا غارق في موج أحزاني

فلتثركيني نهب أشجاني

لا تقربي أفقي فليس به

شيء سوى ثورات بركان

أخشى عليك إذا حللت به

أن تكتوي بسعير نيراني

* * *

ياما حلمت بروضة غرست

أرجاؤها بضياء ألحاني

أشجارها من مهجتي نبتت

وترشفت أعمار تحناني

وطيورها نَبَضَاتُ أَفْئِدَةٍ

تشدو على إيقاع أوزاني

وثمارها نبلٌ وتضحيةٌ

وزهورها نفحاتُ إيمان

لكن تلاشى الحلمُ وانصرمتْ

أيامُه ، وخسرتْ بستانِي

ورجعتُ أحيا واقعي تَعَسَّأ

وأعبُ منه أليمَ حرمانِي

* * *

ستغيرين تعاستي مرحا ؟؟

بحري أنا من غير شيطان !!

يا ما حملتُ على عواصفه

حتى مللتُ وخارَ رُبَّانِي

فدعي مَدَى التّيار تنهشني

وحدي ، ولا تَرثي لِإنساني

أنا من يَوَدُّ لك الهناء فلا

تبني هناءك فوق طوفان

عيشي بمنأى عن هموم غدي

واسْتَشْرِفي فجرَ المنى الحاني

لن تستطيعي العيش وَسَطَ لظى

فلتتركيني نهب أشجاني

المقطع الأخير

عودي للخلف كما تهوّن فقد جرّحت أغانيّ

عودي

ودعي حلم الماضي ينهار وتندثر الأشواق

وجميع الأشعار السكّرى لي رديها

وجميع الآمال النشوى منها طرّزت لك الآفاق

ألقيها في النيران ، ولا تُبقي منها ذكرى حيّة

* * *

لا تبكي يوما ألحاني ، فالعود سيبقى بيديّ

وقصائد شعري لن تُدفن ما دامت تنبع من روعي

وتراتيلي وترانيمي ستظل زهورًا سحرية

أسقيها من دمعي وأغذيها من تبريحي

وأعيش لها ، منها ، وبها

لا تبكيها ، فلأنت اليوم المبكّية

* * *

لم أكذب حين رسمتك بدرًا يسبحُ في الضوء القدسي
ونسجتُ شعاعَ الشمس وشاحا تختالين بزِينتهِ
لم أكُ خداعا حين دعوتُك : قيثاري ، لحنِي ، نفسي !!
وبثتُ هيامي سحرَ شذى تحيّن اليومَ بنفحتهِ
فأنا وقتئذ كنت أرى في وجهك محياي وأنسي
وأنا في حين كتبتُ الشعرَ كتبتُ لأغلى أمنيّة

* * *

لكني اليوم شَفِيئٌ تماما من داء الحب المجنون
وأزحْتُ عن العين المنظارَ
ونظرتُ فألفيتُك شكلا لا معنى فيه ولا مضمونُ
إلا لمساتٍ كنت أنا مبدعُها في طيّ الأشعارِ

* * *

لم يشعر بك قبلي أحدٌ فبعثتُك من وادي النسيان
وملأتُ بصورتك الأبصارَ عزفتُك لحنًا من ذاتي
فجلوتُك ، نبّهتُك ، حتى أصبحت فتاةً ذاتَ كيان
واختلّت بشعري بين لِداتك ، وتدَلّلتِ بنفثاتي
وغدوتِ مليكتهم

وأنا بيدي أجلسُك في الإيوان
فبدوني لستِ سوى رَسَمٍ في غمرة كلِّ الفتياتِ
وبدون يديّ وأشعاري ما أنتِ سوى ذكرى إنسانٍ

* * *

يا أمسا كان وصار سُدَى
يا طائرةً بجناحيَّه
يا قصة حبٍّ لم يحفظ منها شعري غير العنوان
لا تنتظري مني عَودا
ودعي الأشعارَ وشاعرها في روضِ غُلُوبِ الألحان
فالشعر سماويُّ الهمساتِ وأنتِ سماؤك أرضيَّة

فقدت بكارتها المني

وعزفت مقطعي الأخير

وغفوث يقظان الضمير

وحلفت أني لن أعو

د ولن أكبل كالأسير

وحزمت أمتعة الأما

ني بعد عمر من أثير

زهر الهناء تساقطت

أوراقه ، وخبأ العبير

وتنأثرت أحلام غم

ري في فضاء من سكير

قيثارتي بحث ...

وَعَشَى صَوْتَهَا الحزنُ المرير

ونشيدَي النشوان غا

م على فمي يرثي المصير

فقدت بكارتها المني

وبنى بها الأملُ الضرير

* * *

قلبي : أفق ، لهفي عليـ

ك وأنت ملتاغ كسير

ماذا جنيت سوى المرا

رة والضئى ولظى الهجير

أتعود ؟

لا !!

يكفيك ما بلغته قافلة المسير

أَتَعَبْتَ أَجْنَحَةَ الْخِيَا

لِ وَغَدَتَ أَنْتَ بِلَا سَمِيرٍ

مُضُنَّاكَ ذَابَ مِنَ الضَّنَى

إِنْ لَمْ تُجِرْهُ فَمَنْ يَجِيرُ ؟

لم يبق سوى المنديل ٠٠ !

لم يبق سوى المنديل يُذَكِّرُنِي بالأيام الحلوة

لم يبق سواه

وبذاكرتي زهرة "بُنْسِي" كم شربتُ من ثغرك قُبلة

مازالَت تزرع آفاقي شجوا وتُعَمِّقُ فِيَّ معاني الآه

* * *

لحني قد ذاب على شفتيِّ وغاض النغم بأعماقي

وبقيتُ أَفَكَّرُ في ماضٍ لم يخطرُ قبلُ على فِكْرَةٍ

ماضٍ أكبر من كل مُنى ، أغلى ، أعلى من كل خيال

روَّيتُ رُباه بالحناني ، وأثرتُ سماه بأشواقِي

* * *

وهجرتُ ، هجرتُ ، تناءينا

وصحونا من نشوة كأسٍ غمرتُ بشذاها روحينا

لم يك فينا أحدٌ يعرفُ أنا سنهيم بلا هادٍ

أنا سنذوب من الهجران وتكوي اللهفة قلبيْنَا

كنا نمشي، كلٌّ بطريقٍ، لكن في العينين سؤال

وعلى الشفتين كَلِمَاتٌ تَحْتَرِقُ بِنَارِ عَذَابِنَا
لكننا لم نَنطِقْ ووقفنا تمثالي أشجان
وحلفنا أنا لن نرجع لهوانا مهما ضحينا
وحرقتُ جميع رسالاتك، وبعثتُ إليَّ رسالاتي
وذبحنا اللحنَ، كسرنا العُودَ وفي درب البعد مشينا
لكني أبقيتُ المنديل، وأبقيتُ لديك قصيده
هي أجمل ما سَطَرْتُ إليك وأبدع لحن غَنَّينا
ووقفتُ على بُعدٍ تبكين ببيت منها لن أنساه:
"أهواكِ فضميني لذراعك، لن يصل الهجر إلينا"
لكن الهجر أتى، وبغى، وجرى في الشوط فجاز مداه !!

* * *

ومضى عامان، وكل منا يظهر للآخر جَفوة
وجريت لأبحثَ عن أخرى تشفي قلبي من نفثاتِكَ
فيها من عينيك شعاعٌ، وبها شيءٌ من قسماتك
لكني جرّبتُ وجرّبتُ فلم يعرف قلبي صفوه

* * *

والآن أعود إلى المنديل

أتخيل - حين أراه يضيء - يديك تلملم أطرافه
شفتيك تناغي الوردَ عليه، فلا يشكو الوردُ جفافة
فأشم الوردَ، أضم المنديل لصدري
وأقبله

ألتحم به ليمسّ من القلب شغافه

* * *

أنا لا أطمع في العودِ إليك، ولكن أرصدُ إحساسي
أحكي قَبَسًا من قصتنا، لأخففَ عن قلبي الملتاع
كي أهربَ من شكي القاسي
وأقودَ سفينةَ أشواقي في بحر السلوى . . .
دون شراع !!

حَيَّة

إِلَامَ تَرَوِّغِينَ مِنِّي ؟ وَتَخْشَيْنَ إِشْعَاعَ فَنِي ؟
وَتُخْفِينَ وَجْهَكَ إِمَّا سَكْرَتُ، وَتَنَائِينَ عَنِّي
تَخَافِينَ لِحْنِي شَهِيًّا يُعْتِقُ خَمَرَ التَّمْنِي
وَيَجْلُو جَمَالَكَ نَوْرًا يَضِيءُ غَيَابَاتِ سَجْنِي
وَيُسَكِّرُ زَهَرَ الْحَنَايَا بَعْطِرِ هَوَى مُسْتَكِنِ
تَخَافِينَ ؟؟

يَا لَهْفَ نَفْسِي !! وَضِيْعَةَ عَوْدِي وَلِحْنِي
بَسْحَرِكَ أَقْسَمُ إِنِّي أَصَوْتُكَ مِنْ كُلِّ ظَنِّ
أُعَذِّبُ فِيكَ وَلَكِنْ أَرَاكَ فَيَحْلُو التَّغْنِي
وَأَشْرَبُ مِنْ نَبْعِ عَيْنِي كَخَمْرِي فَأَنْسَى التَّجْنِي
وَأُسْكِبُ شَعْرِي سُلَافًا يُعْرِبِدُ فِي كُلِّ دَنْ
عَلَى الرِّغْمِ مِنِّي غَنَائِي بِإِنْسَانِ إِنْسَانِ عَيْنِي
فَلَا تَغْضَبْنِي حِينَ أَشْدُو بِلَحْنِ بَدِيعِ مُرْنِ
إِذَا كُنْتَ لِحْنًا جَمِيلًا فَكَيْفَ يُلَامُ الْمَغْنِي ؟

حينما قالت : وداعا

حينما قالت : وداعًا ، عَنَّقْتَنِي الأُمْنِيَّاتُ

وصحا بين ضلوعي طائرٌ قد كان مات

وبكت رُوحِي رُوحِي

حينما غابت شعاعا بين غيم من دموعي

ونزا الصمتُ الموات

وسمعت الكون حولي يقطع التسبيحَ بغته

حينما صاح ربيعي ، وخبا عطرُ الحياة

* * *

حينما قالت : وداعا

صرت وحدي ، تائها في قاع ذاتي

باحثا لي عن هُويَّة

لم أكن أعرف أني حين أرمي بالشَّظِيَّة

سوف أغتال حياتي

* * *

كيف أنعى ذلك الشوق الشهيد ؟

وأنا السفاحُ ، والسكينُ لم تبرحْ يَدَي بعد الجريمة

والحكاياثُ القديمة ٠٠

حممٌ تطفح حقدًا ، وأفاعي ٠٠

تُغرق الدنيا فحيحًا وسط ذكريّ الأليمة

وتُريني بعد أن غاب الشذى معنى اندفاعي

* * *

آه يا جرحًا قديمًا خلَّقَتْهُ الذكريات !!

آه يا لحنا خبيثًا لم يدندنْ بك عود !!

لم أكن أعرفُ أني حين ألقاك شريدا سوف أخطئُ

لم أكن أشعرُ لمّا قلْتُها في غير رحمة

أنني بالنار أطفئُ

ليس بعد البَعْدِ بَعْدُ

صار همس القلب رعدُ

فبماذا أبرئ الجرح القديم ؟

وأنا دمعٌ وسُهدُ

بعد سبع سنين

"وبعد طول تطواف يعود القيثار

دامي اللحن أشلّ النغم"

لم يبقَ في خافقي من فيض ألحاني

غير الندوب وأصداء لتحناني

أدميتُ روعي بأشواك الضنى زمنا

أقول : علّ غداً يستلّ أحزاني

فلا غدُّ أبرأ الجرح القديم ، ولا

فجرُ الهنا زار أفقَ التائه العاني

سبعاً عجافاً أطوفُ الكونَ مبتئساً

بحثاً عن الحب عن إنسان إنساني

لا الأرضُ حنّت ولا عينُ السما هملتْ

ولا أنا خفّ يوماً لدُعْ نيراني

لم يبقَ ممن عَشِقْنَ الشَّجْوَ في وتري

إلا سَرابُ مُنى في وَهم طوفان

هَنَ انتَشَيْنَ بألحاني وعَشْتُ أنا

في وحشةِ الدرب لحنا دون عنوان

أهيمُ عَبْرَ لياليِ الحزنِ دونَ هُدى

كخاطرٍ شاردٍ في فكرِ فنانٍ

* * *

لا تعذلوني أن قيثارتي صَمَتَتْ

إذ الشتاءُ بثلجِ اليأسِ غَطَّاني

لا أعرفُ اللحنَ يخلو من أَسَى وشَجَا

إن لم يكن رقصةً من قلبِ جذلان

فكيف أشدو ؟

وأوتار الهوى بليت

وفرحة القلب شلت قبل تلقاني

وكيف أبكي ؟ إذا لم يشفني ألمي

وراحة الدمع غابت خلف أشجاني

سبع عجاف ، ولا حب ينير غدي

كأنني لوحة من غير ألوان

آه إذا لم يجز زهر المنى مطر

من بعد أن غالت الصحراء بستاني

رسالة إلى أبي أيوب الأنصاري

أبا أيوب

شهِيدَ الحق والإصرار في وقتٍ تجسّد فيه للإصرار معناه
نشيدَ الثّار حين الثّار لم يكِ كَلِمَةً تُلقَى بلا معنى ولا مضمون

ولكن عزيمةً تغتال كل نذالة الجبناء

وتفتح ألف نافذة تُطل على غد مأمول

إليك رسالتي دمعا نزيفاً الصبر أدماه

* * *

أبا أيوب ، والكلمات في جنبَي مختنقة

أخطُ إليك عما بي لعلك تغسل الجرحا

ولكني أرى أنني أخطب فيك ملتا عا ومسكينا

فقبرك في بلاد الروم يشكو فرقة الأحباب

وقد بعدت ديارهم وباتوا عنك لاهينا

تنادي جندك الغلاب يرجع عزّه الماضي

ولكن جندك الغلابُ تندبه رواينا

فهم كُثِّرَ كما الطوفان حول فخامة الموكب

وحين يثوبُ الداعي يرى شعرا أفانينا

أسودُّ هم إذا ما ثار ثائرهم على عربٍ

وإن لا قوا عدوهم فجرذان يفرونا

تراهم في تناحرهم فينسى فكرك البشري

وتعرف يا شهيدَ الدين معنى عز ماضينا

فلا تهتف بهم فهم عن الإسراع في شغلٍ

ولن يأتوك .. لن يأتوك ..

.. إن القدس قد صلبوا على جدرانها سينا

فبينهم وبين الروم أميالٌ بلا عددٍ

وبينهم وبينك أنت ما يُدْمِي الأسي فينا

* * *

أبا أيوبَ يالحننا بطوليا فقدنا الصوتَ يُنْشِدُهُ

ففي أفواهنا سَقَمٌ يُعيدُ اللحنَ محزوناً

غريبٌ أنت تحت السور تأكلُ نفسك الوحشة

ولكنّا - أبا أيوب - أغرابٌ بوادينا

نخاف نقول ما نبغي فتلفظنا ملامحنا

ونفقد - بعد - معنى الرفض دون غدٍ يُعزينا

فقل لي يا غريب الدار : ماذا بعد غفوتنا ؟

وكيف نعيش عن تحقيق معنى الذات ساهينا ؟

مصائبنا بلا عددٍ

وأسننا مجهزة

نشئ الحرب - حين نشور - تصرّحاً يهدينا

ونعلك كل آونة شذى ذكرى صلاح الدين

وحطين تنادي الخيل لا تلقى الملبينا

فماذا بعد ؟

ماذا بعد ؟

قل لي يا أبا أيوب !!

لماذا لا ترد عليّ ؟

حتى أنت تجفونا ؟ !!

.

لأنني يا نعم الأرض آنف أن أجيبكم

فأرض الروم أطيب لي إذا لم تنصروا الدينا

رسالة يجب ألا تصل !!

أهواك أنغاما وألحانا

وأذوب فيك مُنى وتُخَنّانا

وأحب في عينيك وشوشة

يهفو إليها الشعرُ جذلانا

فيروزتان أحسّ ضوءهما

في خاطر الخفقات ريانا

ينساب عبر مشاعري فأرى

جُردَ الأمانى صِرْنَ نيسانا

ويجوس بين جوانحي نغما

مَرَحَ الصدى فأعيش سكرانا

لا تحببهِ فليستَ غيرَ هدى

يزداد منها الكون إيماناً

عيناك برهانان من خطرنا

في أفقه تركاه نشوانا

لا تغلقي جفنيهما ، لنرى

رسل الهدى جفناً وإنساناً

ودعيهما فعلى شعاعهما

أجثو أنا شكري وعرفانا

* * *

لاتخجلي من جرأتي فأنا

كم خفتُ من آهات لقيانا

وسكبتُ آلامي على ورقتي

همسات أشواقٍ وألحانا

وجلسْتُ خلفَ ترددي زمنا

أروي المني وجدا وأشجانا

حتى خَطَرْتُ على حدائقنا

فتنَفَّسْتُ فُلاً وريحانا

ونَثُتُ من معنى شذاكِ على

وجه الأسى فأحلتِه حانا

وتركتِ من فيروزتَيْكِ ندى

في دربنا فاخضرَّ وازدانا

وبتاجك الشمسيّ كُنتِ لنا

دفئاً تغلغلَ في حنايانا

* * *

حدقتُ في عينيكِ أبحتُ عن

عمرٍ سقاه الدهر حرمانا

وأثرتُ فيك عبير أمنيّتي

كي أشتفي فازددتُ إيماناً

وتركتني وأنا أحققُ في

عين المدى وأذوبُ أحزاناً

ما نلتُ إلا نظرةً سكبتُ

فوق الهوى المشبوب نيراناً

وأثارت المخبوء من شجني

وبقيتُ - ضعفَ الأمل - ظمآن

* * *

تلك الرسالة يا صديقةً لن

أُفْضي إليك بنبضها الآن

فأنا عرفتُ اليوم أن غدي

كالأمل قد صلبوه بهتاناً

لكنني أهواك أعمق من

عشق الطيورِ الروضَ فينانا

أهواك لا لغدٍ أوَّلهُ

فعن المني مرآك أغنانا

وأذوب فيك هوى بلا هدف

وأعانق الأشواق طوفانا

لا تحسبي ألمي يُغَيِّرني

فالنار تُذْكي الحبَّ أحياناً

الجدار

رُويدك !! بددت سحر القصيدة

وبعثر جُبْنُك فيها جليده

دعيها فإني سئمتُ الجمودَ

ومثلك أخرى بها أن تُجيده

أنا بدم القلب أكتب شعري

وأشربُهُ من حناني خلوده

وأكسوه من نبضاتي وشاحا

وينثر فيه اشتياقي وروده

فليس يراه سوى عين قلبٍ

وروحٍ ببحر الأمانِ شريدة

* * *

تَغْطِي بِثَلْجِكَ لَنْ تَفْهَمِيهِ

وعيشي كما أنت عيشي وحيدة

فمثلك تُفْقِدُ أَرْقَى الشُّعُورِ

معاني علاه وتُضْئِنِي نَشِيدِهِ

وتترك فيه رَمَادَ التَّبَا

— أَحْمَقَ ، لَا يَسْتَبِينُ وَجُودِهِ

وتحكم فيه بعقل الجماد

فَتُذْمِئِي عِذَارِي مَنَاهِ الْوَلِيدَةِ

* * *

تريدين للشعر أن يستكين ؟

خَسِئْتُ ، فَنَفْسُ الشُّعُورِ عَنِيدَةِ

تُلَمِّمُ رَاغِبَةً لِلْجَمَالِ

أَزَاهِيرَهَا ، وَتُغْنِي سَعِيدَةِ

وتعزفُ لحن الإباء الطموح

وثلبسُهُ كلَّ يومٍ جديده

وتعصر من كَرَمَةِ الصَّوْنِ سُكَّرَ الدِّ

_____خمور ليثري شذاها سعو

ولكنها لا تُطيق الهوانَ

وأنى لها أن تُطيق قيوده

فلا ترقبي عودة الأمنياتِ

فأمنية العود رؤيا بعيدة

فلا كان شعري إذا ما أتاكِ

فعندك يزوي جمال القصيدة

غداً تعرفين

غداً تعرفين

مدى قيمة الكلمة الشاعرة

يدغدغ مثلي بها أمنياتك

وينثر أزهارها في حياتك

فتحيين في نشوة آسرة

* * *

غداً تبحثين عن اللحن غصاً

تشمين فيه عبير الحنين

وتدمن فكرك بسطا وقبضاً

فلا تظفرين بغير الأنين

وغير لظى الدمعة الحائرة

* * *

غداً سوف يُجْرُ بي زورقي

ببحر حياةٍ بلا شاطئين

وأترك كل الخيالات تُكَلَى

تنوح على الروض والطائرين

وتنعى شذى زهره الشيق

* * *

غدا - حين تقسو عليك الحياة

وتسخر من حُلمك المرهق

وتسلب معنى ابتسام الشفاه

وتعبث بالهذب المطرق

ولا تجدين سوى الذكريات

تفقد أمانيك للمطلق -

تودين أن يُستعاد اللقاء

فتذمى منك

ولا نلتقي !!

بعد عام من الجذب

"إلى التي تنقّب وسط صحراء

الحزن عن واحة خضراء"

أدْمَيْتَنِي والفرحُ موءود الخُطا

والعمر يحبو في قيود الحَزَنِ

لم تُبق فيّ الحادِثاتُ دمعاً

أبكي بها ما قد مضى من زمني

أدْمَيْتَنِي يا نسمةً حَلَّتْ على

وَادٍ جديبٍ مُثْقَلٍ بِالْمِحَنِ

وهَجَّتْ فيّ كامئاً ضاقتُ به

مشاعري فكفنته أَعْيُنِي

تَرَيْنَهُ - إمّا رَنُوتٌ - واضحا

في نظرتي يقطرُ فيه شجني

أَثَرْتَنِي، أَثَرْتِ فِيَّ خَافَقَا

إِنْ ثَارَ فِيهِ الْوَجْدُ لَا يَرْحَمُنِي

* * *

صديقتي:

أَنَا رَبِيعُ آفِلٍ

قَدْ صَوَّحَتْهُ كَفُّ جَانٍ أَرَعَنَ

أُخَافُ يَا صَدِيقَتِي مِنْ قِصَّةِ

أُخْرَى تَنْزَى بِالْأَسَى وَالْعَفَنِ

أُخَافُ !!

أَهْ !! كَلِمَةً مَقْتُهَا

وَقَلْبُهَا بَرِغَمِ قَلْبٍ مُثْخَنِ

فَلَا يَرْغَبُ صَمْتُ بَابِلِ الْمَنَى

فَرَبِّمَا عَافَ حَيَاةَ الْفَنَنِ

ولا يُذنبك ما بعيني من أَسَى

يغتالُ فيَّ هائجا يسحقني

أنا صَدَى يضيع وسطَ جَلْبَةٍ

فلا تعيه أَدْنَا مستحسن

وأنت ؟!!

أنت قصةٌ مُثْرَعَةٌ

من الحنان خطَّها قلبٌ هَنِي

فكيف تحملين شَجَوَ شاعر ؟ !!

سلمتِ أنت من شَجَا يجتُنِّي

رسالة إلى حلوة العينين

- ١ -

" غائبٌ فجريّ غائبٌ

وأنا رُشدٌ، وُضِّلَ

كيف آتي بالعائب؟ "

* * *

كان ذا قولٍ الأُحبة

ودموع الوجد تكسو أعينَ الناس قَتاما

وغيومُ الكبوة السوداء تحني الجبهات

وتُحيل الشَّهَدَ في الأشداق مرا وسقاما

كيف يلتدُّ حبيبٌ مَزَّقَ الحرمانُ قلبه ؟

* * *

لم يكن في الفم غيرُ الطعنة الحمقاء تَدْمَى

- ٦٣ -

والأغاني لم تعد نفس الأغاني
والأناشيد استحالت مضغّة مهترئة
ليس فيها غير صرّخات الضياع
من حنايا مُثْقَلاتٍ بالرزايا ، صدئة
* * *

ألسُنُ الأعداء لا كُنّا ، وفاتنّا لقَى
تأنف الأعيُن أن ترؤو إليه
ألسُنُ الأصحاب أضلّنا بويلات العتاب
وأحالتنا لأعماقٍ تنزّي بالألم
وصدّى يصرخُ فينا من زوايا الاغتراب :
كيف ضيّعتم شذاها ؟
كيف كبّلتُم خطاها ؟
والأمانى فقدت في حمأة اليأس هداها ؟
فنودُّ لو نجيب !!

غير أن الحرفَ أخرسَ

والحناجرُ . . .

ما بها غيرُ النحيب !!

* * *

كان ذا يا حلوة العينين حالي

حالَ كلِّ العاشقين

حالَ من أفنوا على أعتاب نجواك القلوب

وسط طين الحزن عاشوا ستة سودا ثقيلة

ألسنٌ قد كبَلَتْها المشكلة

ووجوهٌ قد تحاشتْها من السَّقم الدروب

- ٢ -

وجاء الفجر ريانا يُفتِّحُ ضوءه الأبواب

يزغرد في ربأ الفردوس : هذا معدني الأنقى

أفئق من نومك المحزون واستقبلْ معي المحراب

- ٦٥ -

وأطلق ما تكبّل من شعور لم يعد يشقى
هتفت بكل ما في القلب من وهج اللظى المدفون:
أنا لم أحي قبل اليوم !! مَنْ غال الدجى شنقا ؟
وهذي حلوة العينين تنبسم بعد طول غياب
فأشرب يا ضياء الفجر قلبي العاشق الشوقا
ورق هواي، أخي مناي ، قبل عني الأحباب
ففي ذا النور يا صبح البشائر دائما أبقى

* * *

وهأنذا أرى في الأفق إخوتي الذين مضوا
تراقص فيهم الخلجات، يعلو البشر سيماهم
فهذا فارس أسمر
قضى في مصر نخب الود والإخلاص
يعانق فارسا آخر
أتوه بليلة غبراء في بيروت فاغتالوه

وراح ضحيةً للمجد، تواقاً ليوم قصاص
رأيتُ جميعَ من أعطوا بلا ثمن ولا أضواء
تكاد عزيمةُ الفولاذ تنطق في مُحياهم
فعنهم ثارت الجولان، وانتصرت لهم سيناء

* * *

أقول الحقَّ ؟؟

لسنا نحن من يُهديك مهر الحب !!
برغم هواك في الأعماق لسنا نحن ، لسنا نحن !!
فهل يا حلوة العينين يُمَهِّزُ مثلك الكلمات ؟ !!
هناك على بساط الجمر يحيا الفارس الموعود
يغذي نبتك القدسيَّ في سيناء بالنبضات
ويسقي تربك الغالي دم الإيثار دون حدود
ويُشعلُ في ظلام الليل أَعْيُنُهُ
تنير لك الطريق فتستقيم بدربك الخطوات

هناك، هناك يا حبي

يُصاغ الشعر بالبارود !!

لا تصلبي حبي

بأعزّ معنى في الحياة لديك

لا تصلبي حبي على كفيك

لم يجنّ يا أمّاه ذنبا كي يرى

- وهو الوليد - صريع بطش يديك

خليه ينمو في الحنايا موقعا

أملأ أرى معناه في عينيك

أنثى أنا؛ معنى الربيع بقلبها

وبخفقا نجوى طيور الأيك

ظمأى كغيري للحنان، وأشتهي

ما يشتهي مثلي على شفئك

أنا منك يا أماء روح رفّ في

أفق الخيال يطير منك إليك

هذا التحرق قد سكّرت بخمره

في المهد نبعا سال من نهديك

فإذا عشقت وذبت وجدا في الذي

أهوى فما ذنب الفؤاد لديك ؟

إلى صامته

لا تجرحني الصمتَ إني

أرى السكوت يغني

وأسمع النبض همسا

يفوق كل تمني

عيناك واحةً شعر

يَجُود في كل فن

وأنت مخض ضياءٍ

يهواه إنسانُ عيني

لما رأيْتُك ذابت

كل الهموم بِدَني

وعدت بعد اغتراب

إلى قصيدي ولحني

يا مُنْتَهَى أُمْنِيَاتِي

لا تحجبي السحر عني

ولا تبوحي فإني

أخشى على البَوح مَنِّي

من أجل عينيك يا حلـ

—وتـي رجعت أغني

قصيدة دامية

اعذريني إن أنا أخطأت يوماً حينما يذكو اللهب
واعرفني أنني مُعْنَى لم يذق طعم الهناء
منذ أن كنت وليداً وأنا أحسو الشقاء
وأجوب الدهر لم أسعدْ بدفء من حبيب

* * *

لا تُراعي حينما أخشى وأوجلُ
من ليالٍ قادماتٍ قد يُجافيهما القمرُ
فأنا يا حلوة العينين مَرْمَى لتصاريف القدر
لا أرى في اليوم إلا ظلَّ أمسٍ مُعتم
وجراحاتٍ فؤادٍ لم يُمتنع بالأمل

* * *

متعبٌ من طول ما عانيت من ليل الضنى

مَثَقَلُ بِالْعَبءِ عَمْرِي ، لَمْ أَذُقْ طَعْمَ الْمَنَى

حَيْثَمَا يَمَّمْتُ وَجْهِي لَا أَرَى إِلَّا السَّرَابَ

وَالْغَيُومُ الْحَالِكَاتُ

تَحْجُبُ الشَّمْسَ وَدَفَاءَ الشَّمْسِ وَالضَّوءَ الْحَبِيبَ

فِيضِيعُ الْخَطُوءُ فِي دَرْبِ الْحَيَارَى مُذْعَنًا

* * *

قِصَّتِي مِنْ غَيْرِ عَنَوَانَ وَلَا حَتَّى بَدَايَةِ

لَا أَعِي مِنْهَا سِوَى غُمْقِ الضِّيَاعِ

غَيْرَ أَشْلَاءَ حَكَايَا وَشَطَايَا أُمْنِيَّاتِ

وَبَقَايَا قَلْبِ إِنْسَانٍ تَرَدَّى فِي صِرَاعِ

ثُمَّ لَا يَمْلِكُ أَنْ يَسْعَى لِكِي يُنْهِيَ الرِّوَايَةَ

* * *

لَا تُعْنِي فِكْرُكَ الْأَسْوَانَ فِي سِرِّ اكْتِنَابِي

فَأَنَا لَا أَدْرِكُ السِّرَّ وَلَا أَعْرِفُ شَيْئًا

كل ما أدريه أني ضائع وسط ضباب
وحزين حزن أعمى لا يرى في الكون ضوءا

* * *

جئتني، والليل مُرخ فوق كنفِي ذيولَه
وركام من هموم النفس حطَّته السنون

فوق ظهر ناء حتى بوجوده،

تستثيرين دموعا في الحنايا

وخيالات فؤادٍ مُشربٍ معنى شروده

ودَّ لو ضمك !! لو قبل في عينيك ما يغتال همّة !!

ويُريه ، بعد أن ذاب الهوى ، معنى خلوده

* * *

صدَّقيني أنني أشتاق في عينيك حلمي

وأرى في بسمه الثغر ضياء تُقْت يومًا لشعاعه

غير أني يا منى نفسي أخشى أن تنوئي تحت همي

وتذوبي مثلما ذاب فؤادي في ضياعه

* * *

ذاك بعض من عذابات حياتي

وقليل من كثير همتٌ وحدي في صحاراه العطاش

مُلقيا للدهر نفسي ، تائها في قاع ذاتي

كيف أرضى بعد هذا أن تكوني حول ناري كالفرّاش

رسالة اعتذار

أعرف أنني وحدي الخاسر

لكنني لا أملك إلا أن أرضى فيك بخُسراني

وأحاول أن ألجم شوقي لنقاء طبيعتك الساحر

وبرغمي أقطع حبلَ الود ، أمزقُ شريانَ اللُفيا

وأنا أدرك أنني سأذوب ، ولن يذوي بك إيماني

* * *

كم كنت أودُ - ولكنني لا أملك حتى الأمنيّة -

أن تبقي بجواري لحنا يسري أضواءً بكياني

كم كنت أريدك يا طهرا لن يعرف يوما خُبث الأرض

محرابا يسجد فيه غدي كي أعرف في الكون مكاني

لكن ما ذنبي ؟ والأيام عليّ بوطأتها تهوي

وأنا أسبح ضد التيار، أسابق من غير حصان

ما عادت تُجدي أحلامَ يبنيتها الوهم بلا عَمَدٍ
فالواقع حطّم أشرعتي وابتلع عزيمة رُبّاني
ما عاد يفيد بساح الدهر سوى أن تبقى نائيةً
وأنا أدركُ آمادَ النأي ، وأعرف معنى الهجران
قدّر أن نحيا مفترقين برغم هوى في قلوبنا
لأظّل كما كنت وحيدا ، وأضيع بليل الحرمان
عذري أني أرجو لك أنت حياة لا آهة فيها
وحياتي ليست غير جراحاتٍ وكتائب أحزان

* * *

أعرف أني وحدي الخاسر
وأحس بمعنى أن أفقد منك الإخلاص وصفو الودّ
وأرى أني لن أحظى - العمر - بمثل فؤادك يهواني
لكنني

أقطع حبل الود، أمزّق شريان اللقيا
وأنا أدرك أني سأذوب ولن يزوي بك إيماني

كلمات في اليوم الأول

هَذِهِ

ذلك القلب الذي أدمته أشواك السنين

وازرعني في أفقه ما شئت من زهر الحنين

وابعثيه

إنه من ألف عام هائم في قاع تيه

ليس يدري كيف يحيا بعد أن ضاع سدى . .

. . كل ما صاغ من الألحان، فالمعنى حزين

والأغاني مُثَقَّلَاتُ بالأنين

والردي يعصف عصفا بالأمانِي العجاف

آه قد بات يخاف !!

بعد أن كان شجاع الخفق، صدّاح الرنين

أشعلي فيه الذي قد عاش عمرا يشتهي

عَلَّمِيهِ كَيْفَ يَسْتَوْحِي الضَّنَى
وَيُحِيلُ الدَّمْعَةَ الْحَزَى أَنَا شَيْدَ اعْتِدَادٍ
وَيَصَوِّغُ الْجَرْحَ لَحْنًا يَمَلُّ الدُّنْيَا مُنَى
آه لَوْ تَدْرِينَ مَا بِهِ
إِنَّهُ طَيْفُ فُؤَادٍ مُنْقَلٍ بِالذِّكْرِيَّاتِ
عَادَ مِنْ بَعْدِ اغْتِرَابٍ وَشَتَاتٍ
يَلْتَقِي فِي سَحَرِ عَيْنِكَ بِآمَالِ شَبَابِهِ

إلى راحلة

الآن، وقد ضاعت كل الآمال هباءً في صحراء القدر الدامي

وتحطم كل جميل كنا يوماً شيدناه

الآن، وقد صرنا غرباء كما كنا من قبل سنين

وتنكرنا لملامحنا، لغد كنا نتمناه

تولدُ نغماتي ميتةً، ويضيعُ مع الريح كلامي

الآن، وقد أقفرت الدنيا ، واسودَّت كل الآفاق

تتجسّدُ في عينيّ جميع هموم العمر

وأعيش اللحظة دهرًا مكتتب الخطو، شجياً

الآن، وأنت بعيدٌ ، أقرأ في عينيك السرّ

* * *

مغوراً كنتُ ، ولم أصحب قبلك من تمنحني ذاتي

لم أعرف قبلك سيدتي غير خضوعٍ وضراعات

وعواطف هوجاء تلفظها نفسي في لحظات:

"أهواك، أحبك، أقرأ في عينيك الماضي والآتي"

لكنك سيدتي صمتٌ أبلغ من كل الكلمات

* * *

أعترف الآن بأنني قد ضيعتُ بلحظة حمقٍ أروع حب

وحطمتُ بنزوتي الرعناء رياض الأمل المزهر

يا من علّمت القلبَ صحيح الخفق وعذريّ الإيقاع

قلبي من بعد رحيلك عني محزونٌ مجهولُ الأب

ارتعاشة

لماذا توقفتُ عندك أنت أفكر في كُبريات الأمانى ؟

لماذا سمعتك بين الجوانح لحنا يبعثر سرَّ الهوى في كياني؟

لماذا أحسُّ إذا ما افتقدتُك بالإغتراب يشلُّ لساني ؟

فأبدو كطفل شريد يصارع في وحشة الدرب معنى الهوان

لماذا ؟ لماذا ؟

وألفُ سؤال بأعماق قلبي تفتش عنك بكل مكان

وتلهث كلُّ معاني التعطش ظمأى لعينيك نهريَّ حنان

كأني غريق ببحر الحياة وبين ذراعيك أنت أمانى

* * *

فمن خلف كل رُكام السنين أتيئك، تُثقلني ذكرياتي

أريدك واحتى المشتهاة

وأبدأ في مقلتيك الحياة

أحسك في كل معنى جميل يردُّ كل الوجود صداه
وأحنو عليك، لأنني إليك أتيتُ أنقب عن سرِّ ذاتي
وآه إذا ارتدَّ خفقي كسيرا، وعاد ولم تتحقق مناه

* * *

أخاف !! ولست جبانا،
ولكن شربت من الدهر مرَّ الكؤوس
عهدت زماني إذا ما تبسم غلفَ بسمته بالعبوس
فلا تعجبي إن طغى الحزنُ يوما ونحن نُحلّق فوق الأثير
وكوني الشعاعَ بليل الجراح،
وكوني النسيم بقيظ الهجير

* * *

أحبك هذا الجمالَ الحزينَ،
وأعشق فيك الهدوءَ السخيَّ
وآتيك كل صباح يدغدغي سحرك العبقريَّ
تزغرد في أدنِّي الحياة إذا ما خطرتِ على الدرب نشوى

وأملك كل الدُّنَا في يميني

ويضحك في ناظري كلُّ شَيِّ

* * *

دعي دفءَ حبك يُثري الحنايا

فما كان أفسى جليدَ الشتاء !!

وضمي بقاياي، إني شظايا فؤاد يَتُوق لسحر الوفاء

أريدك مرفأً عمري المُعْنَى

ومرسى سفينتي المتعبّة

فلا تتركي العمر يزوي ضياعا

ولا تدعي السُّفُنَ نهب الشقاء

كلمات محمومة

اسمعيها كَلِمَةً أودعْتُها كُلَّ إِبائي
إنني أهواك ، لكنْ فوقَ حبي كبريائي

* * *

لن تنالي غيرَ ما أَمْنُحُ من ود وحب
فأنا أعطي سَخيا فوق ما يمنح قلب

* * *

لستُ أَرْضى أن أُرَى يوما أُسِيرًا لامرأة
فأفهميني قبل أن يهجر قلبي مرفأه

* * *

قد رآني كُلُّ من حولي تباشير ابتسامة
كيف أَرْضى أن تحيليني جمودا وجهامة !؟

أنا في الأفواه أحيا لحنَ ودّ وعطاء

فلماذا أزرع الشوك وأسخر بالجفاء !؟

* * *

إنني أحويك في الأعماق حبا وحنانا

غير أنني أرفض الحب إذا كان امتنانا

* * *

ها أنا جئتكم مشحونا بآمال سنيّني

فإذا لم تدركي معنى وجودي فاتركيني

بكائية للنغم النافر

كنت ربي عندما أشتاق ماء
فلماذا في صحارى الوهم قد خلّيتني ؟
وعلى ألكانك العذراء شارفت السماء
فلماذا من خلال السحب قد ألقيتني ؟

* * *

لم أكن أرتاح من وهمي وأشباح الليالي
دون أن ألقى على كتفك عبئي
وأريح الجسد المقرور في عيني حنانك
وإذا ما انهار حلم كنت تبني غيره غصّ المجالي
وثريني روعة الإبحار في موج افتتاحك
صامدا كنت لتيار الزمان
عندما كنت أروء الكون في ثوب اتزانك

وأبيا كان صوتي وقتما كنت صفّي في ليالي الحواني

أصدر النعمة تسبي قلب من يصغي ،

وأهفو في أوثق ارتعاشي لأمانك

كنت مثلاً ونساجا ورساما وكلّ الناس لما كنت خلّي

وضحوكا أملاً الكون ابتساما وابتهاجا

وأحيل الحزن في الأعين ضوءاً بيراعي

فلماذا بعد أن أحببتُ فيك الكون أزمعت التخلي

وتركت القلب يرتاد غيابات الضياع

* * *

بُحّ قيثار المغني بعد عمر من نغم

وانزوى اللحن يتيماً في زوايا الغفلات

لم يعد يقوى على غير النشيج المرّ في وادي العدم

قانعاً مما تولّى باجترار الذكريات

لماذا خيم الصمت ؟

يمر العام إثر العام

وأنت تذوب في بحر من الإعجاب لا يرويك

وتوغل في سنين العمر لا تلوي على الأيام

وأخشى أن تُفَيِّقَ على غدٍ أسوان لا يشفيك

* * *

ألم يُنذِرْكَ هذا العام أنك تائه في الدرب ؟

ألم ينبئك أنك ظامئ أبداً لِرِيِّ الحب ؟

وتسخر حينما يأتيك صوتٌ يوقظ الغافي

وتغلق - يالجهلك - في وجوه الشوق باب القلب

* * *

مضى زمنٌ عرفتكَ فيه نبضا صادق الإحساس

وأوتارًا شجياتٍ تترجم همهماتِ الناس
وثغرا ينثر البسماتِ فوق شفاهنا الكسلى
فتخضّرُ الأماني الجُرْدُ تُطفئُ جمرةَ الأنفاس

* * *

لماذا خيمَ الصمتُ الكئيبُ، وشلتَّ الأوتار؟
وعشّش في سواد العين سرٌّ ليس كالأسرار
يطالعه الذي يرنو فيؤمّن أن يحلّله
ويرجع من سراديب الحنايا مُرهقَ الأفكار

* * *

أخاف على الحنايا أن تُداهمها جبالُ الثلج
وأخشى أن يجيء غدٌ فتَغيا عن صراع الموج
فليس يدوم حتى الوهم، حتى الوهم لا يبقى
وأنت تعيش في ماضيك منساقا مع التيار

يداك على جبينك ليستا إلا دليل مشيب

وسهدك دائما يُنبئ بأنك مائل لمغيب

وأخوف ما أخافُ عليك أن تستدبر الدنيا

وبين ضلوعك الحرّى صدى يهفو لعطف حبيب . !!

قراءة في عيني حبيبتي

لأننا صنوان

تعانقت همومنا، واتحدت مشاعرُ الحنان

لأنني قرأتُ في عينيك قسوةَ الزمان

وعشتُ فيك أمسيَ المعذبِ المُدان

توافق القلبان

واستسلما لدفقةِ المنى ورعشة الأمان

* * *

عشتُ فيك حزنكِ الأبِّي ، لا انحنى ولا استكان

وحرصك الحبيب أن تُظِلِّي على ذويك دونما امتنان

كأنما خلقتِ واحةً لمن يؤمُّها

ظمأى، وأينما حللتِ ثورقُ المنى ويُزهر المكان

* * *

جمعت كل ما أحب في النساء من صفات

وانسبت نهر روعة في أرضي الموات

تبعثرين أينما خطرت سر الاضرار

وتبعثين دفئك الشهوي في قرارة القرار

فأنثني كأنني ولدت منذ لحظات !!

* * *

" تحبني ؟ !! "

أجل ، أحب فيك كل ما افتقدت ، كل ما حلمت أن أرى

كأنما جُبلت لي وحدي وخانك الطريق

وها أنا أسير في هواك مغمض الجفون أرعن السرى

يلد لي في حبك الضنى وأعشق الحريق .. !!

إلى حاقدة

هل يملك قلبي الغفران ؟

مهما أدمنت الكيدَ ولم يُطفئِ حمأتك الإحسان ؟ !!

مهما بالغت - بلا عذر - في الحمق وإشعال النيران ؟ !!

وتركتِ الحقد يعيشُ في أحناك لا يَرْضَى بحنان

هل يملك قلبي الغفران ؟

* * *

كلماتك كانت منذُ سنين تُوجي بالشوق اللّهفان

ورسائلُك الحرى وافتُ كشظايا من قلب دامٍ أسوان

ودموعك كانت تَنَزَّى فيصًا يستجدي التّحنان

لكني لم أقرأ فيها ما كنت أروم من الإحساس

ووجدتُك فيها شحاذا يتسوّل عطفَ الناس !!

وأنا لا أبحثُ إلا عما يُثْري فيّ الإنسان !!

عيناك تحومان كثيراً، من خلف نقابك تختلسان

وصراعك لا يخفى مهما حاولتِ الكتمان

تَتَمَنَّينِ اللقيا حتى لو قايضتِ عليها الشيطان

وأنا أقتاتُ الصبرَ على خُطواتِكَ تلك الرعاء

وأقول: لعل غداً يستأصل نزوتها الحمقاء

ويجيء غداً فأراك به حقداً مجنون الطوفان

* * *

أنا لست أرى - في حين أراك - سوى تمثالٍ من طينٍ

لا توحى رؤيته إلا بالحِطَّة والمعنى الدُّونِ

فعلام إذن يا أيتها البلهاء بنفسك تُغريني ؟

هل أعشق بعد تجارب عمري من تهوي بي للقيعان ؟ !!

* * *

يا أقبح ما في العمر، وأسوأ ما رزأتني الأقدار

يا أثقل ما حملت أيامي من أوزار

أنا أعجبُ حقاً كيف رأتكَ العَيْنُ وواتاها - بعدُ - الإبصار !!؟

وبمثلِكَ تسوّدُ الآفاق وتفقّد روعَتَها الدنيا

يا ساحبةً خلفَ خطاها ليلاً موصولَ الأحزان

* * *

ذُوبِي غيظاً، فأنا أسقطُكَ من فِكْري

وتجنّئي ما شاءتْ أحقادُكَ

هل تملكين سوى الغدرِ؟

لكنكِ لن تصلي أبداً لمرادكِ يوماً من عمري

يا صورةً أنثى جفَّ بها الإحساسُ

فماتت منذ زمان

كلمات في مبتدأ الرحلة

هذا الذي تأتين أبعد ما يكون عن الغرام
إن كان حبك أن تزوريني فيخضر الكلام
فأنا غني عن هواك، ورافض عشق العوام
أنا لن أكرر قصة الماضي المحنَّط بالملام

* * *

خاللت قبلك ألف أنثى ثم عدت بلا خليل
وسفينة العمر المسافر لم تمل من الرحيل
لكنها تهوى العواصف وامتطاء المستحيل
وتفر من برد السهولة، تعشق الصعب الجميل

* * *

أنا لا أريدك صورة أخرى من العمر الموتي
أو قطعة شعريَّة تُلقَى فيسعدُها التجلي

ما أكثر الأرقام في عمري، وأهونَ ما تُخَلِّي

أترك رقمًا ؟ !!

بنست امرأة تعيش بظل ظلي

* * *

شفتاك إن لم تشعلا ناري عدمتك عاشقة

ويداك إن لم تعصرا كرمي فلست بواقعة

هذا الركود يميّتي ويثير فيّ سوابقه

فعلى أسي عمري اهجمي إن كنتِ حقا صادقة

* * *

إني أريدك عالمًا لم يكتشفه قبلُ شاعر

دنيا، بكل ذنوبها وعيوبها ، فيها أغامر

فإذا تعثرت الخطا وغرقت في بحر المشاعر

فتقي بأنك لست من في ليل أيامي تسافر

هذا أنا بجميع سواتي وأفكاري العتيّة

لم أخف عنك حقيقتي يوماً ولا أضمرْتُ نية

فتخيّرني ناري وعيشي في جهنمي اللظيّة

أو فارحلي ، لم يبق في عمري مجال للرويّة

أُتَصَدِّقِينَ !!؟

أُتَصَدِّقِينَ ؟

أني رجعت إلى طفولتي الحبيبة قافزا فوق الأنين

أني طويت العمر طيا منكرا مرَّ السنين

أني أعيش الآن في عمر تولَّى

وكأنني ما زلت أحيا الحب غضا مزهرا ثرَّ الحنين

* * *

أُتَصَدِّقِينَ ؟

أني بلمستك الحنون عفوت عن هذا الزمان

وقَفَزْتُ من شفتيك للعمر المولِّي بالأمان

وصفحت عن كل الخطايا

وَضَمَمْتُ فيكِ الشوقَ كلَّ الشوقِ حينَ ضَمَمْتُكِ اليَدانِ

* * *

أُتَصَدِّقِينَ ؟

وأنا أعيش الأربعين

أَنَّ الطفولة في بريق العين تنضح منذ أن قلبي أحَبَّكَ

أن الزهور تفوح من حولي وفي روعي إذا يمت صوبك

أن التفتح للأمانِي ابتدا في الأربعين

* * *

أتصدقين ؟

يا روعة الأنثى، ويا دفء التشوق والصبابة

يا نبأة من لوعة التذكار عادت من تلافيف الغرابة

يا قصة لم يحوها سَفَرٌ، ولحنا عاش في بال الربابة

أني أخاف عليك مني

وأغار من نظرات عيني

وأراك حلما عاش دهرًا بين أعصابي وبينني

والحلم - مهما طال -

لا يُبقي - إذا انقضت الرؤى - إلا عذابه

* * *

أتصدقين ؟

أني أكذب خافقي فيما يُسرُّ وما يُبين

وأود - أحيانا - لَوْنِي

ما رأيته في الحنايا تخطر

حتى أجنب ذهني المكدود أفكارا تمزقه شظايا

وتثير فيه هواجسًا لم تُبق منه سوى بقايا

وأعود ألعن ما وددت، وأستلذ بك الحكايا

وأعيش فيك بكل أشواقٍ وأشجان السنين

يا أيها الأمل الذي قد زارني في الأربعين

إلى مسافرة

عرفتك أظهر مما أحب ، وأسمى بعيني مما أريد
وعشتك حلما بعيد المنال ألمم منه بقايا النشيد
وصنتك من نزواتي العطاش لتبقي مغلفة في الوريد
أضغتك كي تزهر الأمنيات على كلمةٍ يحتويها البريد

* * *

وذقتك بعد الرحيل عذابا ،
وأدمنت صمت المحب العنيد
وكننت أريدك ،
كنت أضمك ،
كنت أقبل طيف الخدود
أسافر في ناهديك حنانا
وأوغلُ فيك بغير حدود
أرشرش عطري بكل الزوايا
وأترك في كل ركنٍ خبايا
وأدركُ أنني بين الحنايا أعيشُ ،

وأبدو إذا شئتُ عودا ونايا
ترين بوجهي وجهك ، شكلي شكك ،
كلّي كلّك ، تمشين في كل أرض خطايا
ولا تملكين الفرار ،

لأنني ضممتُك منذ عرفتك بين الضلوع ،
وأغمضت عينيك عمن سوايا
ويكفيك أنك سري المصون
وأنت سارية في دمايا

* * *

لماذا تغافلتِ عن رعدة اليد حين احتوثك ،
وأغلقتِ كل الدروب ؟
وفضلتِ أن تنفري في زحام العواطف من شفتي
... لحضن الغروب ؟
وكيف صددتِ عن اللحن غضا
وآثرتِ أن تُوغلي في المغيب ؟
وقوّضتِ أحلى بناء بنيث
بلحظة حمق تميت القلوب ؟

أحس بأنني عدتُ إلى الأرضِ

٠٠٠ من خلف خلف سواد الغيوم

أخوض في الليل لا أستبين طريقي

وأرعى جبال الهموم

وكل رصيدي حين اللقاء : كُليماث شوقٍ

٠٠٠ تزيد الكلوم

بحسبي صدقي

وحسبك أنك آثرت أن ترحلي

وفي النفس منك جراحات شوقٍ

يذكرنيها زمانٌ غشوم

العزف على وتر مهزوم

أقرُّ بالهزيمة

وأعلنُ انتصارك الكبيرُ

وأشهد الجراح والمشاعر الحميمة

أن هواك قد طغى وحطّم الجسور

ولم يصنْ لمهجتي

ما كان لي في سالف الأيام من صلافة النسور

* * *

أقر بالهزيمة

يا امرأةً قد هاجمتْ مني قلاعَ قوتي

ولم تدع لي فرصة النجاة

وحاصرْتني في عريني ، هدهدتْ جسارتي

فلم أعدْ بدونها ألتذُّ بالحياة

* * *

كيف استطعتِ أنْ تغلّغي

ما بين لحمي وعظامي؟

وأن تكوني في د

وتملكي عليّ صحوي ومنامي

* * *

هل ذلك القلب الذي يخفق في أضالعي

قلبي أنا ؟

يقتلني السؤال

أحسُّ أنه استحال عضدًا لقاطعي

يُعينه حتى ينال في الهوى ما لا يُنال

* * *

لم يَبْقَ لي أمام صوتك الحنون من مقاومة

كل السيوف أغمدتْ إلا سيوف رقتك

فعلقيني فوق صدرك الجميل مهجّة مسالمة

واحتكمي في خافقٍ يذوبُ في ابتسامتك

مَنْ مُنْقِذِي ؟ !!

مَنْ مُنْقِذِي مِنْ ضَنْيَ مَا زِلْتُ أَحْوِيهِ

وَمِنْ قَدِيمِ اشْتِيَاقٍ عَدْتُ أَبْدِيهِ

وَمِنْ مَجِيرِي مِنَ الْقَلْبِ الَّذِي اتَّقَدْتُ

نِيرَانُهُ بَعْدَ أَنْ شَابَتْ نَوَاصِيهِ

خَمْسُونَ عَامًا مَضَتْ وَالنَّبْضُ مُشْتَعِلٌ

كَأَنَّ مَرَّ اللَّيَالِي لَيْسَ يُطْفِئُهُ

وَمَا جَنَى أَبَدًا إِلَّا تَوَلَّاهُ

وَلَمْ يَنْلِ مَأْرَبًا فِي كُلِّ مَاضِيهِ

يَتَوَقَّعُ لِلْحَسَنِ مَا أَزْدَادُهُ مُوَاجِعُهُ

كَأَنَّ آلَمَهُ بِالتَّوَقُّعِ تَغْرِيهُ

ما عاد من سفر إلا إلى سفر

في عين أنثى ، وفي الترحال ما فيه

كل الموانئ زارثها سفائنه

وعادت السفن ملأى من تأبّيه

لم السفار إذن والقصد مفتقد

وأي مرسى تراه الدهر يبغيه

ما عدت أدري مدى ترجوه رحلته

وصرت أجهل ما عقبى مراميه

قلبي على قلبه من طول ما حملت

أيامه والذي تخفي لياليه

أراه يجري سريعا نحو مصرعه

فلا رعى الله من بالعدل يرميه

إلى تمثال ٠٠ !!

ليس يجدي بعد ما شوّهت كل الأمنيات

أن أوسى باعتذارك

أي معنى لدموع فوق نعش الذكريات ؟ !!

بعد ما أطلقت قلبي من إسارك

غرت حتى من شذى شعري ودفء الأغنيات

وتجبرت كأن الله قد قيد نجمي في مدارك

لا تلوميني إذا حطمت سجني

فمكان اللؤلؤ الحر بعيداً عن محارك

لم يتق قلبي لأخرى

غير أنني ضاق صدري بالتمائيل الجميلة

لا أطيق المرأة الحسناء إلا منبعاً ينساب شعراً

تشعل الدنيا حريقاً إذ تنور

وإذا ترضى فزهر يملأ الآفاق عطراً

وأنا ما بين جمر النار والعطر أدور ٠

ما عُدَّتِ أَنْتِ كَمَا أَوْدُ !!

ما عدت أنت كما أودُّ ، ولم تعودى مشتهى

ضاع السهاد العذب، والحب الكبير قد انتهى

* * *

قد كنت يوما غاية ما بعدها للقلب غاية

فأبيت إلا أن تخطي بالتعلات النهاية

* * *

ماذا لو أنك قد بذلت كما بذلتُ بغير ضنّ

هل كنت خاسرة ؟ وهل في عالم العشاق منّ ؟

* * *

فلم ارتددت عن الهوى ورجعت من نصف الطريق

وأبيت إلا أن تكوني الثلج في وسط الحريق ؟

* * *

خيبت ظني بعد أن خيبت في إنسان عيني

وأَقمتِ جنبك حائلا ما بين لقياك وبينني

* * *

ما زلتِ أصغرَ من هواي ومن جموح خواطري

فالتكبري عشرًا لكي تحييَ لهيب مشاعري

* * *

كم كنت تواقا لكي أبقىك نبضا في الفؤاد

لكنك اخترت البعدَ ،

فلا ارتويتِ من البعدِ

سيئتي الأولى !!

سيئتي الأولى إن كان يهم الترتيب

أني أسلمت قيادي للتيار وقلت: حظوظ ونصيب !!

وركنتُ إلى يأسِي

ونسيتُ صراعي منذ المهد لكي أبني نفسي

وعرفتُ (القسمة) و (المكتوب) وكل غريب وعجيب

وشربتُ خنوعي أقداحا ، وتعود قلبي التعذيب

* * *

ما عاد بذاكرتي عني إلا أسطورة إنسان

قد كان أبيا وشجاعا

وفتي لا يملك من دنياه سوى أن يعلو فوق الأحزان

ويغني الجرح قصيدة عشقٍ لم تخطر يوما بالبال

ليعيد البسمة للأفواه الظمأى للغد والغد نهر حنان

سيئتي أنى أنسيت أمام خداع العين
أن أعزف "لا" في البدء وأعرف منطلقى من أين

* * *

سيئتي أنى حين ظننتك تنسابين شعاع أمان
وعلى شفتيك رؤى لغد لا يعرف ما معنى الأحزان
وبعينيك استسلامً ينبئ أنك أنت المرسى
أغفى الربان ، ومالت سفن العمر إلى الشيطان

* * *

خاننتني تجربتي وانسقت وراء الوهم لغير مدى
وبنيت قصوري من ورق فتطاير ما شيدت سدى
أيامي باردةً وغدي مطوي في ظلمات التيه
وأنا أستاف المرّ وأبحر في الأيام بغير هدى

* * *

أنا لست أُلوم سوى نفسي ورضاها بالقدر المقسوم
وسكوتي حتى صار الصمتُ مرارةَ عمرٍ سوف تدوم
ماذا لو تُرْتُ ولو أغضبتُ الناسَ جميعاً حين أثور
وشرئتُ صفائي لحظاتٍ ببقايا العمر المهزوم

* * *

سيئتي أني رغم يقيني أنك خاتمة المسعى
قامرتُ عليك بكل العمر وراهنْتُ عليك بذاتي
والآن يعز العُود وتستعصي عنك الرُّجعى
ضيعتُ هباءً أيامي
وخسرتُ مدى الدهر حياتي

نهاية

لو كنت أعرف أن في عينيك تخبو كل نار موقدة

لو كنت أدرك أن في شفّتك مقبرة لدفع الأفئدة

لسكبْتُ كل محابرٍ منحتك تاج الكبرياء

وكسرتُ أقلامي التي رفعتك يوما للسماء

يا من على أهدابها هدم المصلي معبده

* * *

كيف اندفعتُ إليك محمومًا بعبء الذكريات

وفضضْتُ عندك سر قلبي والهموم المثقلات

كيف استطعتِ، ولو ليوم واحد،

أن تخدعي العين التي دربت على كشف الخبايا

وتُري فؤادي أن عندك راحة الحيران،

في عينيك غفرانَ الخطايا

يا من أبحثُ لها التغلغل في الحنايا

وضممتُها بتلهُف الظمآن، فاغتالت هوايا

* * *

ما بين فعلك واسمك السامي فروق شاسعة
كيف الهدى تحوي الضلال بقلبها ؟
أم كيف ينساب الظلام المر من قلب الشموس الساطعة ؟
عفوا !! فلا شمس تضيء ،

وإنما وهمي المريض هو الذي خلق الشعاع
وفؤادي الأعشى أثارته البروق الخادعة

* * *

أنا لا ألوم سوى اندفاع عواطفي في غير غاية
وتعشقي السم المحلى في بدايات الرواية
سقط الطلاء فلا تُراعي ، وانتهت تلك الحكاية
لم يبق عندي من هوى الحمقى سوى لحن عتيق
أبقيته عنوان حب أرعن ضل الطريق
سلب البراءة في البداية
والطهارة في النهاية

مرثية لامرأة ولّت !!

من سماك "حنانا" ظالم

يا قاسية النظرات، وقاتلة اللفتات، وكافرةً بالحب

من كان غريقا في الأشجان ورامك شطآنًا واهم

يا أنثى فرّت من غدها، وتوارت خلف الأمل الصعب

* * *

أفبعد سنين العمر المر أريق الدمع على أعتابك ؟ !!

يا من أوصدت نوافذ حلمي

وحطمت بحمقك كل كؤوس شرابك

لو أنك كل نساء الأرض

ما كنت أطيق الصبر ببابك

لو ضاق الكون وصار بعيني سمّ خياط

لا أبصر منه سوى عينيك الخادعتين

لرضيئت الموت على أن أحيا أشدو شعرا في محرابك

* * *

من سماك "حنانا" ظالم

يا من أشعلت لك الأضواء ففضلت الظُّلْمَة

ومددت إليك عيون الشوق فأعشت عينيك الأنوار

يا من سارت عكس التيار

سيجيء غدٌ لا نسمةً فيه فتشتاقين ولو كلمة

* * *

من سماك "حنانا" ظالم

يا من رفضت عقد الأشواق وعاشت ساخرة بالحلم

يا لَحْنا من أقسى الألحان، ومعنى من ظلمات الظلم

إني أسلمتُكَ للدنيا

ووهبتُكَ للقدر الغاشم

نصف أنثى

لم تعودى - مثلما كنت - مثالا أرتجيه

ضاع ما كان يثير القلب في عينيك ،

لم يبق ألق !!

ولقاء كنت في ماضى حياتي أشتهيه

صار كابوسا ثقیل الوطء ، نارى الحرق

فاتركى أفقى لطير مُسعدٍ يمرح فيه

وارحلى يا نصف أنثى سقطت في المفترق

خاتمة المطاف

لم يبق لي من ذكرياتي غير لذع الذكريات
وجميع أيامي الخوالي لم تُنلني المشتهي
فعلام حرصك يا صغيرة أن أعود من الشتات ؟
وأنا الذي آمنتُ أنني كنت حلما، وانتهى

* * *

في بحر عينك قد يكون الموج يُغري بالغرق
وعلى شفاهك قد يكون اللحن أشهى موقعا
لكن قلبي في جحيم الشوق ضحى واحترق
وعلى رماد القلب لن تجدي لعشقي موضعا

* * *

ما عاد في صفحات نفسي غير آثار الندوب
وبقية من أمنيات ذاويات خائبة

فبغير أرضي فابذري ما شئتِ من نبض القلوب
فبروق شعري خُلبٌ، ووعود عيني كاذبة

الوهم ٠٠٠ والحرمان

أقسمت عليك بحق الأنقى والأبقى في قلب القلب
أقسمت عليك بكل سماويٍّ من آي الحب
وبكل الصدق المائل في إحساسك بي وبآلامي
ألا تنداحي في ليلي ، فأنا قد ضيعتُ الدرب

* * *

لا أنكر أنك قد غيّرت موازين العشق بعيني
لا أخفي أن كتابك يسعدني ويعشعش في
لكني أدرك معنى أن تنمو الأزهار ببابي
ورباعي صوّح من زمنٍ، وخريفي ينسلُّ إليّ

* * *

بعثرتُ شبابي ألّهت خلف سراب الأحلام
وعشقت لطول الإلف جراحي، واستمرأت الآلام

ونسيت برحلة أشواقى معنى أن أصرع أحزاني

فدعيني ..

لست أنا من يُسعد حتى في الأوهام

* * *

عرشي مبني من ورق ، لا يصمد يوما ضد الريح

وعنادك لا يقوى أن يضلى نيران التبريح

أنا وهم ضخمه الحرمان ، وزند أصبح لا يؤزى

فعلام النشوة يا طهرا يُغري العاصي بالتسبيح

* * *

سيظل هواك يلازمي ما غنى نبض في الوجدان

وأعيش أشمك فوح شذى لم يخطر في بال البستان

وستبقين المرسى العلوي لكل عذابات الذكرى

وبحسبي أن تحيي روحا يثري إحساس الفنان

حاجز العمر

هذا زمانك، فامرحي، ودعي لأمثالي الأرق

وتنعمي بشذا الربيع ، وخاصمي جمر القلق

وتوثبي مثل الطيور، وسابقيها للشفق

وانسي زماني إنه ولّى إلى غير رجوع

بيني وبينك حاجز العمر الذي لا يُخترق

طفلة

أنا ليس عندي للتي في مثل عمرك غيرُ أب
يهب الحنان مضاعفاً، ويحُوطها بسياج حب

* * *

وجه ابنتي ألقاه فيك إذا لقيتُك ساهمة
فتغيب أنهار الحنين من الجوانح راغمة

* * *

لم تنقص الخمسون عاماً من رصيد الشوق ذرة
لكنها تُملِي عليّ بأن أفكر ألف مرّة

* * *

ولّى شبابي، واستنامت في رُباه عواظي
فتفهمي يا طفلتي معنى همود عواصفي

* * *

ما فيك نقص - صدّقيني - إنما النقصانُ فيّ

فاستثمري زمن الربيع وهددي الشوق الصبيّ

* * *

وابقي - إذا شئت - ابنتي تبقي مشاعر طاهرة

فأنا أبّ، والحكمة الغليا تسوس مشاعره

* *

إيضاح أخير ٠٠ !!

لن تُنكري يا شهر زاد

أني أنا وجه الحليب وأوليات العسل

وبراءة البدء التي لا تُستعاد

فتذكري أنني الذي علّمتُ نهديك الغناد

وزرعتُ في نبض الفؤاد أرقّ ألحان الغزل ٠

* * *

المحتوى

القصيدة	الصفحة
إيضاح أول	٥
لحن الوفاء	٧
إلى غادرة	١٠
المتوجة بالشمس	١٣
أحبك	١٥
خداع السرب	١٨
حينما يعرّب الشوق	٢١
أبيان ملتهبة	٢٤
لمسة حنان	٢٦
مرثية للشوق الراحل	٢٧
إلى مغامرة	٢٩
المقطع الأخير	٣٢
فقدت بكارثتها المُنَى	٣٥
لم يبق سوى المنديل	٣٨
حَيَّة	٤١
حينما قالتُ : وداعا	٤٢
بعد سبع سنين	٤٤
رسالة إلى أبي أيوب الأنصاري	٤٧
رسالة يجب ألاّ تصل	٥٠
الجدار	٥٥

القصيدة	الصفحة
غداً تعرفين	٥٨
بعد عام من الجذب	٦٠
رسالة إلى حلوة العينين	٦٣
لا تصلبي حبي	٦٩
إلى صامئة	٧١
قصيدة دامية	٧٣
رسالة اعتذار	٧٧
كلمات في اليوم الأول	٧٩
إلى راحلة	٨١
ارتعاشة	٨٣
كلمات محمومة	٨٦
بكائية للنغم النافر	٨٨
لماذا خيم الصمت ؟	٩٠
قراءة في عيني حبيبتي	٩٣
إلى حاكمة	٩٥
كلمات في مبتدأ الرحلة	٩٨
أتصدقين ؟	١٠١
إلى مسافرة	١٠٤
العزف على وتر مهزوم	١٠٧

القصيدة	الصفحة
مَنْ مُنْقِذِي ؟	١٠٩
إِلَى تَمَثَال	١١١
مَا عُدْتُ أَنْتَ كَمَا أَوَدَّ	١١٢
سَيِّئَتِي الْأُولَى	١١٤
نَهَايَةِ	١١٧
مَرثِيَةٌ لَامْرَأَةٍ وَلَّيْتُ	١١٩
نَصَفَ أَنْثَى	١٢١
خَاتِمَةُ الْمَطَافِ	١٢٢
الْوَهْمُ وَالْحَرَمَانُ	١٢٤
حَاجِزُ الْعَمْرِ	١٢٦
طِفْلَةٌ	١٢٧
إِبْضَاحُ أَخِيرٍ	١٢٩

* * *

دار حروف للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/١٧١٧٤

I.S.B.N. 978-977-6338-05-0